GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER



والهديَّة

RABIE

casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين
والهديّة

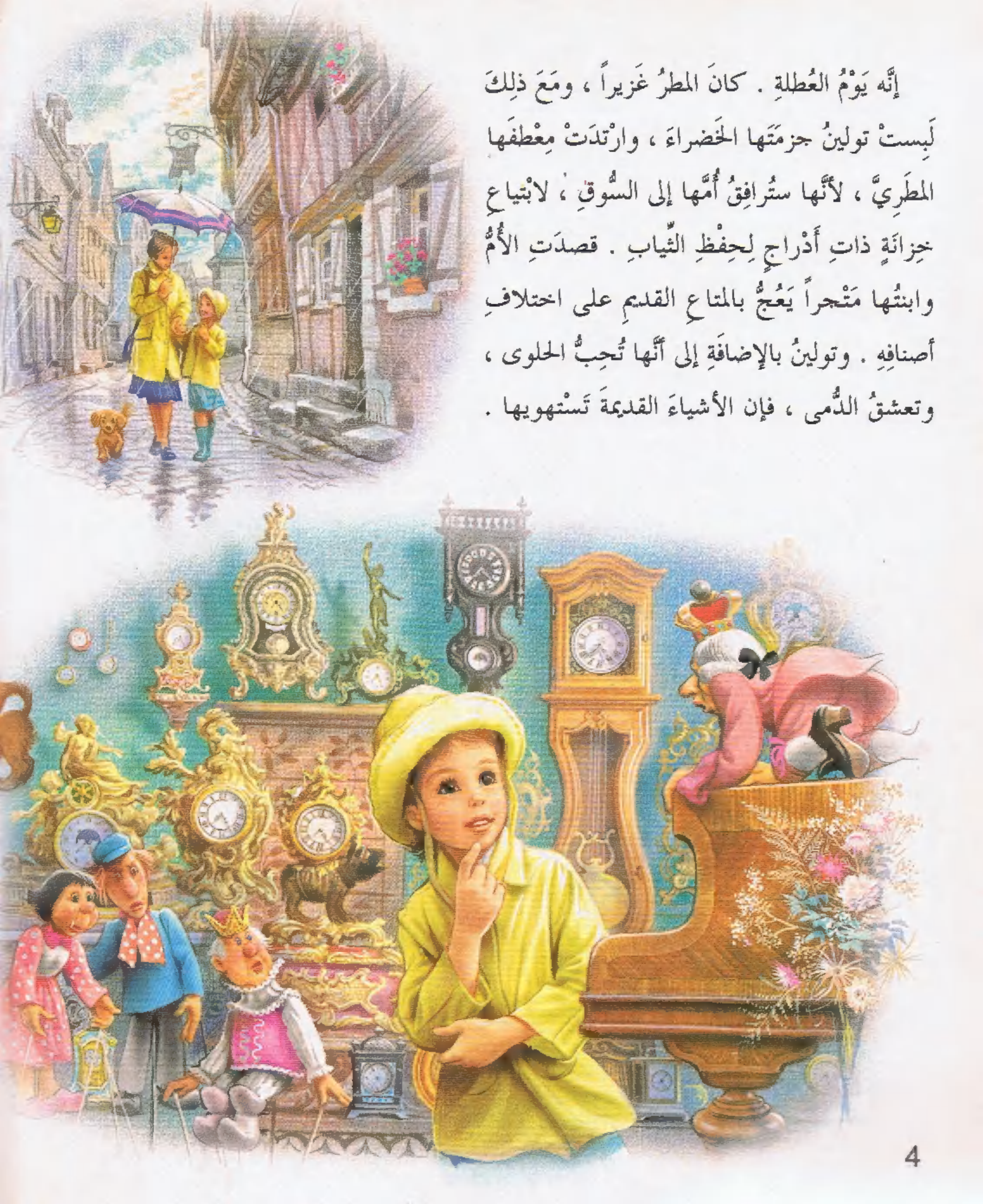
جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل





casterman



إنَّه يَوْمُ العُطلةِ . كانَ المطرُ غَزيراً ، ومَعَ ذلِكَ لَبستْ تولينُ جزمَتَها الخَضراءَ ، وارْتدَتْ مِعْطفَها المطَرِيَّ ، لأنَّها ستُرافِقُ أُمَّها إلى السُّوقِ ، لابْتياعِ خِزانَةٍ ذاتِ أَدْراجٍ لِحفْظِ الثِّيابِ . قصدَتِ الأُمُّ وابنتُها مَتْجراً يَعُجُّ بالمتاعِ القديمِ على اختلافِ أصنافِهِ . وتولينُ بالإضافَةِ إلى أنَّها تُحِبُّ الحلوى ، وتعشقُ الدُّمى ، فإن الأشياءَ القديمةَ تَستْهويها .

فِي المتْجَرِ وبَينما الأُمُّ مُنْشَغِلَةٌ بالتَّحادُثِ مَعَ البائِعَةِ ، راحَتْ تولينُ تَتَفَرَّجُ على البَضائعِ المَعروضَةِ مِنْ غيرِ أن تَمَسَّها ، لأنَّ لَمسَ السِّلَعِ مَمنوعٌ .



واكتَشَفَتْ تولينُ أشياءَ غَريبَةً ، رأَتْ قُبَّعاتٍ قَديمَةً ، وساعاتٍ مُتَنَوِّعَةً أسأَمَها تَوَقُّفُ عَقارِبِها ، وأزهاراً مُجَفَّفَةً ، ولُعبَةً حَمراءَ تُحَرَّكُ بالخُيوطِ .. فَضلاً عن الكَثيرِ مِنَ الدُّمى .

ومِنَ الوَهلَةِ الأولى أدرَكَتْ تولينُ أنَّ الدُّمى قديمَةٌ ومُستعمَلَةٌ ، وهي مَصنوعَةٌ مِنَ الخَزَفِ ، وأثوابُها باهِتَةٌ ، وأمَّا شُعُورُها فناعِمَةٌ كالحَريرِ ، وكأنَّها طَبيعيَّةٌ . لم تتمالَكْ تولينُ نَفسَها ، فمَدَّتْ يَدَها لتُداعِبَ إحداها ، وإذا بأمِّها تقولُ لها : لا يا تولينُ .

دونَ تَرَدُّدٍ ، أنزلَتْ تولينُ يَدَها ، لكنَّها تَدانَتْ أكثَرَ من دُميَةٍ هي الأجمَلُ . كانَتْ تجلِسُ في مَقْعَدٍ مِنَ القَشِّ ، وقدْ غَطَّى كَتِفَيها وِشاحٌ مُزَركَشٌ .





قالَتْ تولينُ لأمِّها مُتَوَدِّدَةً : ألا أهدَيتِني هذهِ الدُّميَةَ بمناسَبَةِ عيدِ ميلادي ...
أرجوكِ يا أُمّي ! اقتَرَبَتِ الأمُّ مِنَ ابْنَتِها ، وقالَتْ لها : أنتِ مُحِقَّةٌ ، فهيَ جَميلَةٌ جِدّاً .
ثُمَّ أضافَتْ ، وقد عادَتْ بذاكِرَتِها إلى أيّامٍ خَلَتْ : عِندَما كُنتُ في مِثلِ سِنِّكِ ،
كانَتْ جَدَّتُكِ تحتَفِظُ في العُلِّيَّةِ بدُميَةٍ مُماثِلَةٍ ، لكنَّ خالَكِ حَطَّمَها ذاتَ يومٍ .



وتَسارَعَ خفَقانُ قَلبِ تولينَ ، وفَهِمَتْ أُمُّها شِدَّةَ رَغبَتِها في اقتِناءِ الدُّميَةِ ، فما كانَ مِنها إلاّ أن سألَتِ البائِعَةَ : ما ثَمَنُ هذهِ الدُّميَةِ ؟ في غُضونِ ذلكَ قَرَرَتْ تولينُ أن تُسَمِّيَ الدُّميَةَ (روبي) ، وكأنَّها أصبَحَتْ مُلكاً لها . ومن فَرْطِ شَغَفِها بها أرادتْ أن تضُمَّها إلى صَدرِها ، وأن تُلاطِفَها . ابتَسمَتِ البائعَةُ وقالَتْ : أنا آسِفَةٌ يا سيِّدتي ، فالدُّمى كُلُّها قَدْ بيعَتْ لأحَدِ هُواةِ جَمعِ الدُّمى ، وسوفَ يأتي ليأخُذَها في المَساءِ .

وكيفَ للبائِعَةِ أن تستَمِرَّ في التَّبَسُّمِ ، بينما كانتِ الغُصَّةُ تعرِضُ في حَلقِ تولينَ الَّتي تحبِسُ عَبَراتِها ، فتقولُ لها أمُّها عسى أن تُخَفِّفَ كُربَتَها : لا تحزَني يا عزيزتي سوفَ نوَفَّقُ بدُميَةٍ أخرى . ثمَّ غادَرَتِ الأمُّ وابنَتُها المَتجرَ ، والمَطَرُ ما يزالُ ينهَمِرُ ، والسَّوادُ قد صَبَغَ كُلَّ شيءٍ . راحَتْ تولينُ تسيرُ في الشّارِعِ مُغتَمَّةً ، حتّى إنَّها لم تكنْ تحاوِلُ أنْ تقفِزَ فوقَ بِرَكِ المَطَرِ .





وتقولُ الأمُّ لابنَتِها ، حتَّى تُزيلَ عنها حُزْنَها : أتأكُلينَ فَطيرَةً بالبُنْدُقِ ؟ هزَّتْ تولينُ رأسَها ، وقالَتْ : لا ، لا ، ..

- لَعَلَّكِ تُفَضِّلينَها بالموزِ .

- لا هذهِ ولا تِلكَ .

- هلْ أنتِ مَريضَةٌ يا صَغيرَتي ؟

- أبداً يا أمّاهُ ، فأنا مكتئبَةٌ .



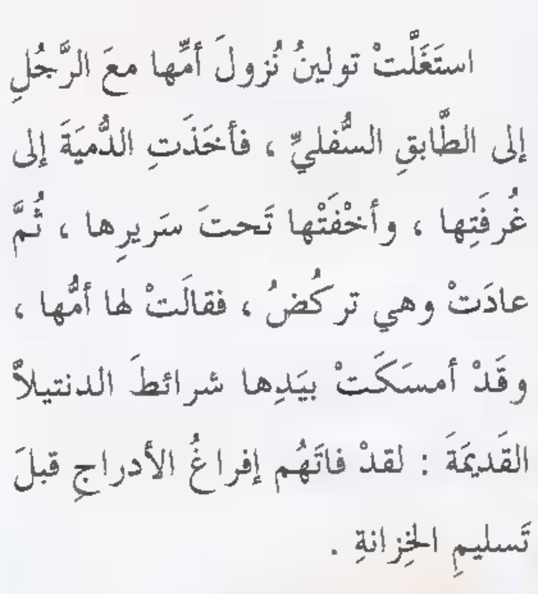
لقدْ اشتَدَّ بها الحُزنُ ، حتَّى أعرَضَتْ عَنِ الفطائرِ ، ورَغِبَتْ عَنِ الحَلْوَياتِ الَّتي تَتَلَذَّذُ بتناولِها ، وهي تُتابعَ الرُّسومَ المُتحرِّكَةَ في التِّلفازِ . إنَّهُ حُزنٌ حقيقيٌّ وعَظيمٌ ، وليسَ نَزوَةً عابِرَةً . وهي تُكابِدُ أشجانَها ، عادَتْ تولينُ وأُمُّها إلى المَنْزلِ .

في المَساءِ أحضرَ رَجُلٌ الخِزانةَ الَّتي ابتاعَتْها أُمُّها ، فجَعَلَتْ تُمعِنُ النَّظَرَ فيها ، لأنَّها لمْ تَرَها في المَتجَرِ .



لاحَظَتْ تولينُ أنَّ الأدراجَ تُفتحُ بواسِطَةِ مَقابِضَ ضَخمَةٍ ، كالَّتي رأَتْها في صُوَرِ كِتابِها المُحبَّبِ إليها ، فنَسِيَتْ للَحظاتٍ الدُّميَةَ الَّتي لم تَحظَ بها ، وفَتَحَتِ الدُّرجَ الأوَّلَ .

وكم كانَتْ دَهشَتُها عَظيمَةً ، عندما وَقَعَ نَظَرُها على دُميَةٍ تنامُ فوقَ شرائِطَ مِنَ الدَّنتيلاَّ القَديمَةِ . فهي وإن لم تكُنْ جَميلةً كتِلكَ الَّتي رأتْها جالِسَةً في مَقعَدِ القَشِّ ، أو بحَجمِها ، بَيدَ أنَّها تنتَظِرُ ذِراعَي فَتاةٍ صغيرَةٍ لتفوزَ بمُداعَبَتِها ، وتُسَمِّيها (روبي) .



اسْتَغَلَّتْ تولينُ نُزولَ أمِّها معَ الرَّجُلِ إلى الطَّابقِ السُّفليِّ ، فأخَذَتِ الدُّمْيَةَ إلى غُرفَتِها ، وأخْفَتْها تَحتَ سَريرِها ، ثُمَّ عادَتْ وهي تركُضُ ، فقالَتْ لها أمُّها ، وقَدْ أمسَكَتْ بيَدِها شرائطَ الدنتيلاَّ القَديمَةَ : لقدْ فاتَهُم إفراغُ الأدراجِ قبلَ تَسليمِ الخِزانةِ .





فما كانَ مِنْ تولينَ إلاَّ أن سألَتْها : أتنوينَ الاحتِفاظَ بالدانتيلاَّ يا أُمّاهُ ؟ فأجابَتْها : لا يا بُنَيَّتي ، فهذا يُعَدُّ سَرِقَةً ، سوفَ أعيدُها غَداً إلى المَتجَرِ .

تولينُ أيضاً لا تُسَوِّلُ لها نفسُها السَّرِقَةَ ، إلاَّ أنَّها راحَتْ تَهمِسُ في أعماقِها : روبي أصبَحَتْ مُلْكاً لي ، إنَّها دُميَتي ، ولن أتخَلّى عنها أبداً ! لكنَّها لنْ تستَطيعَ أن تلعَبَ بِها على مَرأى مِنَ الجَميعِ ، ولنْ تَتمكَّنَ مِنْ ضَمِّها بينَ ذِراعَيها وهي نائمَةٌ ، لأنَّ والِدَيها يأتِيانِ لتقبيلِها قُبَيلَ أنْ يأوِيا إلى فراشِهِما .

ثمَّ أينَ ستُخفيها يومَ العُطلَةِ ، عِندَما تُنَظِّفُ أمُّها تحتَ سَريرِها بالمِكنَسَةِ الكَهرَبائِيَّةِ ؟

وطيلَةَ ليلَتَينِ مُتوالِيَتَينِ ، أَقَضَّتْ عليها مَضْجَعَها كَوابيسُ رَهيبَةٌ .



لقد تَراءى لها أنَّ الفَتَياتِ في مَدرَسَتِها يُلاحِقْنَها ، ويومِئْنَ إليها ، وهُنَّ يصرُخْنَ : سارِقةٌ ! فسارعتْ تولينُ تَستَيقِظُ وقدْ سالتْ دُموعُها ، كما عاوَدَتْها الغُصَّةُ ، وأَبَتْ أن تُبارِحَ حَلقَها ، حتَّى ضاقَ صَدرُها بما آلَتْ إليهِ حالُها .



واشتَدَّ بتولينَ الشَّجَنُ ، وباتَ بَيِّناً على مُحَيّاها ، فسألَتْها مُعَلِّمَتُها : ما بِكِ يا عَزيزَتي ؟ وساوَرَ والدَيها القَلَقُ ، فسألاها : ماذا اعتَراكِ يا تولينُ ؟

بالفِعلِ ، هي ليسَتْ في حالٍ تُحسَدُ عليها ، بَيدَ أنَّها تعرِفُ جَيّداً ما يَتَوَجَّبُ عليها فِعلُهُ . هو حَلٌّ وَحيدٌ تأباهُ نفسُها ، لَكِنْ لا مَفَرَّ مِنهُ . تَحَيَّنَتْ تولينُ خُروجَ والِدَيها إلى الحَديقَةِ لذَرِّ الحَبِّ للطُّيورِ ، فارتدَتْ مِعطَفَها المَطَرِيَّ الأصفَرَ وجَزمَتَها الخَضراءَ ، ثمَّ أخرجَتْ روبي من مَخبَئِها ، وانسَلَّتْ مِنَ المَنْزِلِ ، وراحَتْ تركُضُ وتركُضُ ... حتَّى وَصَلَتْ إلى مَتجرِ السِّلَعِ القَديمَةِ .

رأَتْ تولينُ في المَتجرِ رَجُلاً عَجوزاً تَوَشّى الشَّيبُ في لِحيَتِهِ ، قد حَلَّ مَكانَ البائِعَةِ ، الَّتي التَقَتْها في المَرَّةِ الفائتَةِ ، فقالَتْ لهُ : نَهارُكَ سَعيدٌ يا سَيِّدي ، لقد جِئْتُ لأُعيدَ لَكُمْ روبي .. تلكَ الدُّميَةَ الَّتي نَسيتُموها في دُرجِ الخِزانَةِ الَّتي ابْتاعَتْها أُمّي .

وَضَعَتْ تولينُ الدُّميَةَ فوقَ طاولَةٍ صَغيرَةٍ ، ورَجَعَتْ أدراجَها بسُرعَةٍ فائقَةٍ ، حتَّى أنَّ أمَّها لَمْ تَتَنبَّهْ لِغيابِها عَنِ المَنـزِلِ . تَخَلَّصَتْ تولينُ من صِفَةٍ لَيسَتْ أهلاً لأنْ تُنسَبَ إليها ، فهيَ لَمْ تَعُدْ سارِقَةً ، لكنَّ الغُصَّةَ ما تَزالُ تُنغِّصُ عليها .



وتَمَدَّدَتْ تولينُ فوقَ سَــريرِها ، فسَمِعَتْ أمَّها تَتَكَلَّمُ بالهاتِفِ . وما إن أنْهَتِ الأمُّ محادَثَتَها ، حتَّى أطَلَّتْ مِنَ البابِ ، وقالَتْ لتولينَ : سأخرُجُ لِبِضعِ دَقائقَ ، فلا تَقلَقي يا عَزيزَتي . لَنْ أتأخَّرَ في العَودَةِ .



وهَمَسَتْ تولينُ لنفسِها ، وفي أعماقِها تَوَجُّعٌ وتَحَسُّرٌ : أنا مَريضَةٌ ، وسأبقى كذلكَ ما حَيِيْتُ . أمُّها تستطيعُ الخروجَ كما يحلو لها ، وأما هي ، فلن تُبارِحَ السَّـريرَ أبداً . وأغفَتْ فيما كانَتْ تُصارِعُ هواجِسَها .

وأيقظَتْها أمُّها قُبيلَ الغداءِ ، وقالَتْ لها : لقد حانَ وقتُ الطَّعامِ ، ألَنْ تأتي يا بُنَيَّتي ؟

غسَّلَتْ تولينُ عَينَيها المُحمَرَّتَينِ ، لأنَّها اعتزَمَتِ الانضِمامَ إلى أهلِها في حُجرَةِ الجُلوسِ ، حيثُ فوجِئَتْ بوجودِ جَدَّتِها ، وخالَتِها ، وخالِها ، و ... تُرى ، ما الَّذي يجري ؟





قَبَّلَتْها جَدَّتُها ، وقالَتْ لها : أتمنَّى لَكِ عيداً سَعيداً يا صَغيرتي ، ثمَّ انهالَتْ عليها التَّهاني مِنْ كُلِّ الحاضِرين . أصيبَتْ تولينُ بِدَهْشَةٍ عَميقَةٍ ، لأنَّها غَفَلَتْ تماماً عن المُناسَبَةِ . لم يسبِقْ لها وأن غابَ عن بالِها شيءٌ مِنْ هذا القَبيلِ ، إذْ كيفَ لها أن تحتَفِلَ بعيدِها ، وفي قَلبِها لَوعَةٌ ؟



وقَدَّم الأقرباءُ هَداياهُمُ الكثيرَةَ إلى تولينَ ، فتَبَسَّمَتْ أمُّها ، وقالَتْ لها : سوفَ تُسَرِّينَ ، يابْنَتِي .

وبدافِعِ اللَّباقَةِ ، طَفِقَتْ تولينُ تَفتَحُ الرُّزَمَ ، فوَجَدَتْ بداخِلِها ، كما هو مألوفٌ ، لُعَباً ، وكُتُباً ، وحَلوَياتٍ ..



وأمّا العُلْبةُ الأخيرَةُ ، فكانَتْ هَديَّةَ والِدَتِها . وما إنْ حَلَّتْ تولينُ الشَّريطَ ، حتَّى تلألأ وجهُها فَرَحاً ، إذ وَجَدَتْ (روبي) داخِلَ العُلبَةِ . قالَتْ له أمُّها : منذُ قليلٍ ، هَتَفَ لي صاحِبُ المَتجرِ الَّذي زُرناهُ مَعاً ، وأعلَمَني أنَّ لديهِ دُميَةً للبَيعِ . أنا أُقَدِّرُ لهُ صَنيعَهُ ، لأنَّهُ لَبّى طَلَبي قَبلَ المَساءِ . أنتِ مَحظوظَةٌ يا تولينُ .

ضَمَّتْ تولينُ الدُّميَةَ إلى صَدرِها ، فزالَتْ عنها الغُصَّةُ ، وامتلأَتْ حُبُوراً ، ولفَرطِ ما احلَولَتِ الحَياةُ بعَينِها ، جَعَلَتْ تُغَنّي . وأما عينا الدُّميَةِ الزُّجاجيّتانِ ، فكانتا تُشرقانِ سَعادَةً . لا رَيبَ أنَّ الدُّمى تُحِبُّ الفَتياتِ اللّواتي يُبادِلْنَها الحُبَّ .



www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10138-5 ISSN 0750-0580





1 تولين في المَزرعةِ
2 تولين في رِحلةٍ
3 تولين في البَحرِ
4 تولين في السّيركِ
5 تولين ، مَرحباً بالمدرسةِ
6 تولين في السُّوقِ الشّعبيّةِ
7 تولين على خَشَبةِ المَسرَحِ
8 تولين في الجَبَلِ
9 تولين في المُخيّمِ
10 تولين على مَتنِ الباخرةِ
11 تولين وفُصولُ السّنةِ
12 تولين في المَنزلِ
13 تولين في حديقةِ الحيَوانات
14 تولين تتسَوّقُ
15 تولين في الطّائرةِ
16 تولين تركبُ الخَيلَ
17 تولين في المُتنزّهِ
18 تولين أمٌّ صغيرةٌ
19 تولين في عيدِ ميلادِها
20 تولين تعتَني بالحَديقةِ
21 تولين تركبُ الدّراجةَ
22 تولين راقِصةُ الأُوبّرا
23 تولين في عيدِ الأزهارِ
24 تولين تُعِدُّ الطّعامَ
25 تولين تتعلّمُ السّباحةَ
26 تولين مَريضةٌ
27 تولين تزورُ خالتَها
28 تولين تسافرُ في القِطارِ
29 تولين تتعلّمُ الملاحةَ
30 تولين وصديقُها الدُّوريُّ
31 تولين والحِمارُ كَدُّوش
32 تولين في عيدِ الأُمِّ
33 تولين في المِنطادِ
34 تولين في المَدرسةِ
35 تولين تكتَشِفُ المُوسيقا
36 تولين تُضِيعُ كلبَها
37 تولين في الغابةِ
38 تولين والهديّةُ
39 تولين والجارةُ العَجيبةُ
40 تولين والأربعاءُ المَشهودُ
41 تولين في ليلةِ العيدِ
42 تولين والبيتُ الجديدُ
43 تولين في حفل تنكُّريٍّ
44 تولين والقِطُّ المتشرّدُ
45 تولين وراءَ السّمورِ
46 تولين والحادِثُ
47 تولين مُربّيةٌ
48 تولين في درسِ الاستِكشافِ
49 تولين في درسِ الرّسمِ
50 تولين في بلادِ الحِكاياتِ
51 تولين في درسِ الطّهوِ

① CM1-38
ISBN 2-203-10138-5

